

عِقدُ الْلَّوِلِ فِي سِيرَةِ الْبَتُولِ

- رضي الله عنها وأرضها -

للشاعر الأديب الشيخ السيد / محمد بن حسن بن علوى الحداد

علق علمها وأخرجها خادم العلم وطلابه راجي رحمة الحق

الحبيب السيد عبد الله بن محمد بن حسن فدعق الهاشمي المكي مقتبسه من دروس الروحة للتعلم والتعليم .

نفعنا الله به وبمن كتب عنهم وبسائر الصالحين آمين ...

الفصل الأول

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدرها تقديرًا ، أرسل سيدنا محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة الناس بشيراً ونذيرًا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، واختص أهل بيته الكريم ، بالفضيلة والتكريم ، تشريفاً لهم وتوقيرًا ، وقال في معرض الثناء عليهم تنبئها للأمة وتذكيرًا : (إنما يريده الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطرركم تطهيرًا).

اللهم صل وسلم وبارك وكرم ومجّد وعظم في كل لحظة أبداً على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ثم أما بعد ،

فهذه كلماتٌ مضيئةٌ ، ولائٌ وضيّةٌ ، عن سيدة نساء العالمين ، أم الغُرَامِيَّامِين ، بَضْعَةُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، سيدتنا الزهراء ، السيدة الشريفة فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها وأرضها ، وعلّمتها بعد أبيها أزكي صلاة وأنماها.

والحديثُ عن سيدتنا الزهراء رضي الله تعالى عنها شيقٌ وجميلٌ ، ممتعٌ وطويلٌ ، يقف الكاتب أمامه حائرًا التفكير ، عاجزًا عن التعبير ، لا يدرى من أين يبدأ ؟ وعما يتحدث ؟ ماذا يأخذ من مناقبها ؟ وماذا يدع ؟ فهو أمام بحرٍ زاخر ، بنفاسٍ اليواقيت والجواهر . لقد زكت قولاً وفعلاً ، وسمت فرعاً وأصلاً . من أمها ؟ من أبوها ؟ من بعلها ؟ من بنوها ؟

أبوها سيد الكوينين ، وأشرف الثقلين ، المئنة الكبرى على المؤمنين ، ورحمة الله للعالمين ، أنقذ الله به البشرية ، من ضلالات الجاهلية ، جاءنا بالكتاب المسطور ، وأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وشرف وكرم ومجّد وعظم .

وأمها الطيبة الطاهرة ، ذات المناقب الفاخرة ، السيدة خديجة الكبرى رضي الله تعالى عنها من فازت بشرف الدنيا وسعادة الأخرى ، أكرمتها الله بأعلى وسام ، فأهدتها السلام مع سيدنا جبريل عليه السلام ، وبشرّها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب .

وزوجها الإمام المرتضى ، القائل كلمة الحق في الغضب والرضى ، أسد الله الغالب سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه .

وأولادها السيدان الكريمان أبو محمد الحسن ، وأبو عبد الله الحسين ، ريحانتا سيد الكوينين ، فيما جاء في صحيح السنّة ، سيداً شباب أهل الجنة .

وسيداتنا زينب وأم كلثوم ورقية ، وفضلهم معلوم ولهم مكانةٌ في قلب النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم مرموقةٌ علىَّة ، ثم سيدنا المُحِسِّنُ الذي توفي صغيراً ، أولئك هم أفرادٌ بيتها الطاهر ، النجمُ

الزواهر، الكرامُ البررة ، الأئمَّةُ الْخِيَرَةُ ، نجومُ أمنِ البرية وسفُنُ النجاة من كل بلية ، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على أبيها سيدنا محمد أذكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل الثاني

في ولادة ونشأة سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها

ولدت سيدتنا فاطمة عليها السلام ، في بلد الله الحرام، قبل البعثة بخمسة أعوام، وكان ميلاد هذه النبالة الظاهرة، لعشرين من جمادي الآخرة¹، في يوم الجمعة الأزهر، سطع وجهها الأنور، فالحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر. وسماتها أبوها فاطمة، لأن الله فطمها من النار الحاطمة، ومن أسمائها : المباركة والزكية، والراضية والمرضية، وتسمى الزهراء، لأنها زهرة أفضل الخلق بلا مراء، ولقبت بالبتول، لانقطاعها للعبادة فيما تفعل وتقول، وكناها الرسول صلى الله عليه وسلم بأم أبيها، لما كان يجد عندها من حنان وعطف أودع فيها.

نشأت في بيت النبوة²، معدن العلم والشرف والفتوة، حيث يغدو رسول الله ويروح، وتنزل الملائكة والروح، نشأت في ذلك البيت الفاضل، على أفضل الأخلاق وأحسن الشمائل، وكيف لا تكون كذلك وهي خريجة مدرسة أفضل الخلق على الإطلاق، الذي بعثه الله متتماً لمكارم الأخلاق.

فمنه تعلمت الصدق والأمانة، والعفة والصيانة، تعلمت منه القرآن والحكمة، والرأفة والرحمة، والتواضع والعلم، والصبر والحلم، طبعت على أخلاق رضية، وشمائل نبوية، وأخلاق محمدية، أولاه رها من الخيرات ما أولاه فرضي الله عنها وأرضها.³

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أذكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

¹ في يوم وضع الحجر الأسود ، عندما اختلفت عليه القبائل

² بين أخواتها ، وكانت السيدة زينت أما وأختا لها رضي الله عنهن أجمعين

³ ودفعها رضي الله عنها عن أبيها صلى الله عليه وآلـه وسلم وجهادها معلومان

الفصل الثالث

في جهاد وتحمل سيدتنا فاطمة الزهراء للدعوة

وقد نشأت هذه السيدة الطاهرة، منذ طفولتها الباكرة، مجاهدة صابرة، لقد شهدت الدعوة منذ بدايتها، وعاشت أحداها إلى نهايتها، ويتجلّى جهادها في مرافقة أبيها الكريم، منذ بداية الدعوة إلى الدين القويم، كانت معه إبّان مواجهة الكفار، وما يلاقيه منهم من أخطار، وأتاح لها صغر سنه أن تسير معه حيثما سار.

وكبرت الزهراء وكبر معها عزمها الوقاد، وتطلعها للجهاد، فقد كانت يوم أحد مع المجاهدين، تضمد الجراح وتستقي المحتضرين، وفي يوم أحد كانت فاطمة الحبيبة، لجرح أبيها المداوية الطبية، كان علي يصب الماء وهي تغسل الدم من وجهه الشريف، وما لم يتوقف التزيف، عمدت إلى حصير فأحرقته وضمنت برماده الجرح فالتام، وتوقف التزيف وزال الألم، فأكرم بها من مجاهدة سابقة، مخلصة صادقة.

ويتجلى صبرها عليها السلام، في مواجهة الأحداث الجسمانية، صبرت على شظف العيش، حين قاطعتهم قريش، وصاحت أبوها في الحصار، وذاقت ما ذاقوا من جوع وإعسار، وإثر انتهاء أزمة الحصار العاتية، فقدت أمها الحانية، وتلقت كل ذلك بنفس راضية، وهكذا يكون المسلم في كل أطواره، راضيا بقضاء الله واحتياره، وما الشجاعة غير صبر ساعة، والفوز في العقبى لكل صبار ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار﴾.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضاها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل الرابع

في زواج سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها من علي المرتضى كرم الله وجهه

ولما بلغت ربيعها الثامن عشر، تقدم لخطبتها أكبر الصحابة كأبي بكر وعمر، فردهم رداً جميلاً، وأخبرهم أنه ينتظر في أمر زواجهها تزيلاً، وقد اختص الله بذلك الشرف والمناقب، سيدنا الإمام علي بن أبي طالب، وقبل أن يصل إلى الرسول، خطبة الزهراء البطل، كان الوحي قد سبقه، بمباركة هذه الخطبة الموقفة.

فنال علي أغلى أمنيه وأعلى، حين قال له الرسول الكريم: (مرحباً وأهلاً)، ولم يطل الانتظار، حتى بعث رسول الله في طلب كبار المهاجرين والأنصار، لينقل إليهم هذا الخبر السار، فلما التأم جمع هذه النخبة المختارة، سطعت أعلام هذه البشارة، وخطب رسول الله خطبته المشهورة، التي لم يزل في مثل هذه المناسبة مذكورة، فقال عليه الصلاة والسلام:

(الحمد لله المحمود بنعمته، المعبد بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه، وأكرمه بنبيه، إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته ، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، وحكم عادلاً، وخيراً جاماً، أو شجع بها الأرحام ، وألزم بها الأنعام، فقال عزل من قائل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾، فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. ثم إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فأشهدوا أني زوجته على أربعمائة مثقال فضة¹ إن رضي بذلك علي بن أبي طالب.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بيننا وقال: (انتهوا)² في بينما نحن ننتهي، إذ دخل علي رضي الله عنه، فابتسم في وجهه، ثم قال: (إن الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة، على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذلك)،

فقال: (قد رضيت بذلك يا رسول الله)، ثم إنه ألقى خطبة قال فيها:

(الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد بالجنة من يتقيه، وأوعد بالنار من يعصيه، أحمده بجميع محامده وأيادييه، وأشكروه شكر من يعلم أنه خالقه وباريته، ومصوروه ومنشيه ، ومميته ومحببيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأشهد أن محمداً عبد

¹ قيمة درعه التي أهداها له سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتراها منه سيدنا عثمان رضي الله عنهم

² التهبي: أن يأخذ كل واحد ما استطاع أخذه فيحصل أن يأخذ أحدهم أكثر من غيره

رسوله، تزلفة وتدنيه، أما بعد : فإن اجتمعنا مما قدره الله تعالى ورضيه، والنكاح مما أمر الله به وأذن فيه، وهذا محمد ، قد زوجني فاطمة ابنته، على صداق أربعينية مثقال فضة، وقد رضيت بذلك وكفى (بالله شهيدا)

ثم خر ساجداً، شاكراً الله وحاماها، فلما رفع رأسه من السجود.

قال له صاحب المقام محمود: (جمع الله شملكم وبارك عليكم وأخرج منكم الكثير الطيب). في والله من عقد مبارك، شهد كبار الصحابة، أولو الفضل والنجابة، النبي فيه هو الولي، والزوج هو الإمام علي، والزوجة هي الزهراء ذات القدر العلي.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل الخامس

في وصف ليلة زفاف سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها

ولما أتم العقد المبارك الميمون، وقررت به من المحبين العيون، رفت الزهراء في موكب من أبيع المراكب، إلى بيت سيدنا الإمام علي بن أبي طالب^١، وسار موكب الزفاف في فرح واستبشرار، يحف بها نساء المهاجرين والأنصار^٢، حتى وصلن بها إلى بيتها الرفيع، بجوار بيت أبيها صاحب الجاه الوسيع.

وما أن أخذت مكانها في البيت الجديد، بجانب زوجها صاحب الحظ السعيد، حتى أقبل ذو الطلعاء الهمية، والغرة المحمدية، سيدنا محمد خير البرية، ليطمئن عليهمما، ويقدم أحلى التهاني إلهمما، فقال: (جمع الله شملكم وأعز جدكم وبارك عليكم وأخرج منكم كثيراً طيباً).

فاستجاب الله دعاء نبيه لهم، وأخرج الكثير الطيب منهمما، فكان منهمما امتداد النسب النبوى الشريف، المنتهى إليه كل سيد وشريف ، فهم والقرآن متفقان، قرینان لا يفترقان، حتى يردا حوض سيد الأ��وان، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان^٣.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

^١ تزوجها سيدنا علي كرم الله وجهه في رمضان وهو ابن إحدى وعشرين وهي بنت ثمانية عشر أو أقل ودخل بها في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة

^٢ وتأخرت سيدتنا أسماء بنت عميس لحراستها وخدمتها فدعا لها صلى الله عليه وآلها وسلم لعناتها بها رضي الله تعالى عنهن أجمعين

^٣ ومهرها وجهازها رضي الله تعالى عنها مشهوران

الفصل السادس

في جهاز ومهر سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها

وبعد أن عشنا لحظات هذا الزواج، وما صاحبه من فرح وبهاج، يواجهنا سؤال ملح، يحتاج إلى جواب مفصح، ماذا عن مهر سيدة نساء العالمين، وماذا عن جهازها؟ وهي بنت الصادق الأمين.

لعل في ذلك عبرة للأمة، ودروسًا مهمة، فيما يكتنف أمر الزواج من الظلمة، والأمور المدلهمة، كغلاء المهر، والمباهات في القصور، والإسراف في الموائد، والانجراف مع العوائد، التي تلحيء الفقير إلى الاستدانة، وتجعل الغني ينفق ما في الخزانة.

فلتكن لنا قدورة وأسوة، بأهل بيته النبوة، ولنحذر من التكلف، الذي يفضي إلى التأسف، لقد كان مهرها وهي بنت النبي الأكرم، أربعيناتة درهم !

وذلك مبلغ ضئيل، وقليل جد قليل، لما شاع بين الناس من الآلاف المؤلفة، المرهقة المكلفة، أما علموا أن كثرة المهر لا يزيد المرأة فخرًا؟ ، ولو كان الأمر كذلك وكانت فاطمة أولى بذلك وأحرى، أما علموا أن أبركهن أيسرهن مهرًا؟.

وماذا عن أثاث بيتها المنيف؟؟ لقد كان وسادة من أدم حشوها ليف، وخميلة ورحاءين، وسقاء وجرتين، فأين من هذا ما نحن عليه الآن؟ في هذا الزمان، من أثاث فاخر، مرهق وجائر ، يستنزف الأموال، ثم يرمى في سلة الإهمال، وماذا عن الحلي والثياب؟، يا أيها الأحباب؟ ، لقد زفت في بردين، وزينت من الفضة بسوارين، فأين من هذا ما عليه الناس، من فاخر اللباس وخواتيم الذهب والألماس، والأساور السميكة، التي تحول اليد إلى سبيكه، والطقوم المتنوعة من الذهب، التي تبعث العجب ، ولا عجب، فهل لنا أن نرجع بما نحن فيه، من ضياع وتيه؟ ، هل لنا أن نتحول، من الصعب إلى الأسهل؟، إلى ما كان عليه الرعيل الأول؟، فهو أولى بنا وأجمل، والله المستعان وعليه المعول، وسلام على فاطمة فقد كان في زواجهما عبرة لمن يتأمل .

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أذكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل السابع

في ولادة ولدي سيدتنا فاطمة الزهراء (الحسن والحسين) رضي الله عنهم

ولما استقر الزوجان في بيتهما الجديد، على مقربة من سيدنا رسول الله صاحب الخلق الحميد، مرت بهما الأيام، في هناء ووئام، وهي وإن لم تكن حياة ترف وعيشة رغيدة، إلا أنها كانت هانئة وسعيدة.

وفي العالم الثالث من الهجرة استقبلا في فرح جلي، طفلهما البكر الحسن بن علي، وزفت البشري بالنبا السار، إلى النبي المختار، فجاء مسرعاً إليه، وأخذه بين يديه، يتأمله والقلب بالفرح ممتلي، فإذا هو شبيه بالنبي لا شبيه بعلي، وكان أول ما وصل إلى سمعه، عند وضعه، صوت جده سيد الأ��وان، حيث رتل في أذنه الأذان.

و قبل أن يكمل العامين، وضعت الزهراء شقيقه الحسين، فسر النبي بهذين الغلامين المباركين، وقرت بهما العين.

وقد شاء الله الكريم العلي، أن تكون ذرية المصطفى من فاطمة وعلي، من ابنهما الحسينين، ريحانتي سيد الكوينين.

وما برح رسول الله يزورهما بين الحين والحين، ويحفون به مستبشرین فرحين، فيما حبذا من محفل فخيم، ومجلس كريم، يجلس في صدره رسول الله، علي عن يمينه وفاطمة عن يسراه، والحسن والحسين في حجره ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فعلمهم جميعاً بعد نبينا الكريم، أفضل الصلاة وأتم التسليم.¹

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آلـه .

¹ وحياتها اليومية رضي الله تعالى عنها وإكرامه صلى الله عليه وأله وسلم لها معلومان

الفصل الثامن

في وصف حياة سيدتنا فاطمة الزهراء اليومية

ولقد كانت الزهراء في حياتها اليومية، مثلاً عالياً للزوجة الوفية، ضربت أروع الأمثال، في الطاعة والصبر والاحتمال، دبرت شؤون منزلها بانتظام، وقامت بحقوق زوجها أحسن قيام.

طحنت حتى ورمت يدها، وقمت بيتها حتى أغمى عقدها، واستقت الماء حتى اشتكى صدرها، وأوقدت النار تحت القدر وكم قاست حرها.

فأين منها نساء اليوم، اللاتي استولى عليهن الكسل والنوم، ألا لينظرن إلى سيدة نساء العالمين، كيف دبرت شؤون منزلها بنفسها بعزم لا يلين، وليقلن تنومها بفضلها المبين، ما هذه من البشر ما هي إلا من الحور العين.

وحين بلغ بها وبزوجها من الجهد مالا يطاق، طلباً من النبي خادماً يخفف عنهم ما هذه المشاق، فقال:
(لا والله لا أعطيكم وأدعي أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجده ما أنفق عليهم).

ثم جاء إليها عليه الصلاة والسلام، وقد تهيننا للمنام، وتغطيا بقطيفة إن غطيا رأسهما بدت الأقدام، فتأهلاً للقيام، لاستقبال خير الأنام، فقال: مكانكم، وجلس بينهما.

ثم قال: ألا أدل لكم بخير مما سألتمني، قالا: بلى، فقال: كلمات علمتهن جبريل، تسبحان في دبر كل صلاة عشراء، وتحمدان عشراء، وتكبران عشراء، وإذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلثا وثلاثين ، وأحمدوا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعاء وثلاثين فذلكما خير لكم من خادم، ثم ودعهما ومضى، بعد أن امتلأ قلب كل منهما بالسكينة والرضا.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل التاسع

في تكريم النبي ﷺ لابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها

وما زلنا مع صفحات ناصعة، من سيرة هذه السيدة المتواضعة، فقد كانت تحظى بالتكريم، من أبها الكريمة، عليه أفضل الصلاة والتسليم، كانت إذا أقبلت إليه يقوم لها تكريماً وتقديراً، ويجلسها في مجلسه تأنيساً وتبيشاً.

وكذلك كانت تفعل إذا جاء إليها، محبة ووفاء بالحق الذي عليها، وكان يكتنفها بأم أبها، إشادة بعطفها وتنوتها، وإذا سافر كان آخر العهد بها، يسلم علمها ويودعها وإذا عاد من السفر بـأمسى بالمسجد ثم بفاطمة، فتلقاء فرحة باسمه.

ومن مظاهر تكريمهما وتأنيسهما وتقديمهما، أن جعل بيتهما ملاصقاً لبيته وبينهما نوافذ يطل علمها وتطل عليه، كلما دعت حاجة لدهما أو حاجة لديه، وبينهما باب، يوصل إلى الأحباب، في أي وقت من ليل أو نهار، دون عناء أو انتظار، وكان بها عطوفاً، وعلها رؤفاً.

وهذه القصة المثيرة، من كتب السيرة، تصور لنا هذا الحنان الأبوي، والعطف المحمدي، خرج الرسول من بيته وقت الهجرة، حيث امتنع عنه الهمجوع، من شدة الجوع، إلا أن جوعه اختياري، لا اضطراري، فقد أباً أويوب الانصاري، ففرح به وبين معه أشد الفرح، وقدم لهم عذقاً فيه تمر ورطب وبلح، ثم قام وذبح، ثم جاء بالطعام طرياً، واللحم مطبوخاً ومشوياً.

ولما أن جاء به إليه، ووضعه بين يديه، أخذ قطعة من اللحم ووضعها في رغيف، وطلب من المضيف، أن يذهب إلى فاطمة بهذه القطعة، على جناح السرعة، قائلاً عليه الصلاة والسلام،
(بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام).

وهكذا كان يخص ثمرة فؤاده، بمزيد من عطفه ووداده، وقد طبعت هذه السجية فيها، لأنها كانت أشبه الناس بأبها، فكانت قبل وبعد عرسها، تبره وتوده وتؤثر على نفسها.

ومن هذا أن فاطمة رضي الله عنها ناولت الرسول كسرة خبز من شعير، فقال ما هذا، فقالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال لها: (هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام). وهكذا كانت لا يطيب لها أن تستأثر ب الطعام، حتى ينال منه أبوها عليه الصلاة والسلام.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أذكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آلـه .

الفصل العاشر

في شيء من أخلاق سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها

ومن أخلاقها الزكية، وشمائلها المرضية، أن الجود والإيثار كان فيها سجية، وكذلك كان زوجها ذو الكرم والأريحية، ولذلك تعارفا، وتآلفا، وكان حظهم من النعيم موفورا (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَسْرُّونَ مِنْ كَأسٍ كَانَ مِزاجُهَا كَافُوراً)

ومما يروى في هذا المجال، من إيثارهما الذي هو مضرب الأمثال، ما قص الله في كتابه من وفائهم بالنذر، وإطعامهم الطعام على حبة ابتغاء الأجر، آثروا المسكين واليتيم والواقع في الأسر.

قال الله تعالى في الثناء عليهم تكريماً وتوقيراً : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حِبْهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)

تصدقوا بطعامهم فطورا وسحورا، وواصلوا الصيام وفاء بما كان منذورا، وقالوا إخلاصاً وصدقأ لا كذبا وزورا (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا)

جدوا واجتهدوا في الأعمال الصالحة، واغتنوا الطاعة في كل فرصة سائحة، وtagjroوا مع الله فكانت تجارتهم رابحة، وكان مما قالوا موعظة وتذكيرا (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيًّا)

أحسنوا العمل شكرأ الله على نعمائه، وطلبا للمزيد من فضله وآلانه، وامتلأت قلوبهم من خوف الله ورجائه، وابتهلوا إلى ربهم أن يؤمهم من الفزع الأكبر وأن يضاعف لهم أجورا (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا)

خافوا الله في الدنيا فأمهلم في الآخرة، وجعلهم من أهل الوجوه الناضرة، التي إلى ربها ناظرة، وأعد لهم من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر في الذاكرة، وناداهم المنادي بما يملأ القلب حبورا (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آلـه .

الفصل الحادي عشر

في انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولحقوق سيدتنا فاطمة الزهراء به

وَلَا أَكْمَلَ اللَّهُ بِرَسُولِهِ هَذَا الدِّينَ، وَأَتَمَ النِّعْمَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبَّاهُمْ فَتَحًا وَنَصَارًا مُبِينًا، نَزَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: (إِلَيْهِمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا) وَكَانَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِشَارَةٌ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ، إِلَى دُنْوِ أَجْلِ هَذَا النَّبِيِّ الْوَفِيِّ.

وكان نزولها في حجة الوداع وقد كان يقول لاصحابه الكرام، في حجة هذا العام، خذوا عني مناسككم فلعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا ، فلم تمض إلا مدة يسيرة بعد عودته من مكة، حتى ألمت به وعكة، حسبها المسلمون وعكة طارئة وتزول، إلا فاطمة فقد أصابتها منها فزع وذهول.

ساورها من مرضه هذا خوف وقلق، حتى أنها تحس كأن قلبه قد انفلق، فجاءت إليه مسرعة، قلقة فزعة، فلما رأها مقبلة هش للقائها قائلاً مرحباً بابنتي فأقعدها عن يمينه، فمسارها بشيء فبكت ثم سارها فضحت.

سارها بدنوا أجله فبكـت خوفـاً من الفراق، وسارـها بـأنـها أول أـهـلـه لـحـوـقاً به فـضـحـكت فـرـحاً بالـلـاقـ. وانتقلـ الرـسـول إـلـى الرـفـيقـ الـأـعـلـى، وحزـنـت عـلـيـه حـزـنـاً لا يـبـلـىـ، وقـفـت عـلـى قـبـرـه الشـرـيفـ، تـقـولـ في اـضـطـرـابـ مـخـيفـ، بـعـدـ أـنـ أـخـذـت حـفـنـةـ مـنـ تـرـابـ ضـرـبـحـهـ، تـشـمـهـ وـتـهـنـأـ بـرـحـهـ:

ماذا على من شم تربه أَحْمَدٌ *** ألا يشم مدي الزمان غواليا
صبيت على مصائب لو أنها *** صبيت على الأيام عدن لياليا

ثم عادت إلى بيتهما حزينة متألمة، ولم تر بعد ذلك متبسمة، حتى فاضت روحها إلى بارتها^١، بعد ستة شهور من موت أبيها، ووقف عليّ على قبرها ، يسترجع ذكريات وفائيها وبرها، وقال في حزن وخشوع، وعيناه تذرفان بالدموع :

لكل اجتماع من خليلين فرقة *** وكل الذي فوق التراب قليل
وإن افتقادى فاطما بعد أحمد ** دليل على أن لا يدوم خليل

وقال وقد فاضت دموعه، وإنطوت على الحزن ضلوعه:

إلى الله أشكو لا إلى الناس إني *** أرى الأرض تبقى والأحبة تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم *** عتبت ولكن ما على الموت معتبر

^١ بعد أن اغتسلت وتهيات رضي الله تعالى عنها لمقابلة ربها سبحانه وتعالى

وكانت وفاتها يوم الاثنين الثاني من رمضان في السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وأذكي التحية، وعمرها حينذاك ثمان وعشرون سنة قمرية، وقيل: ثلاثون عاماً بالسوية، فالحكم لله الكريم المتعال، والحمد لله على كل حال.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أذكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل الثاني عشر

فيما اختص الله به سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها

وقد اختص الله هذه البرة التقية، الراضية المرضية، بخصائص عديدة، ومزايا فريدة، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر، ما يدل على أنها سيدة نساء العالمين ولا فخر.

فمن خصائصها أنها بضعة المصطفى، وكفاحاً بهذا فخراً وشرفًا، فمن أغضبها أغضب رسول الله، ومن أرضها فقد أرضاه.

ومن خصائصها كما ورد في صحيح السنة، أنها سيدة نساء أهل الجنة. وجاء في حديث آخر عن خاتم النبيين، أنه قال أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين.

ومن خصائصها أنها كانت أحب أهله إليه، وأحظاهم لديه، إذا أقبلت استقبلها بالترحيب، وتلقاها بغير باسم وصدر رحيب، وأجلسها منه مجلس الحبيب من الحبيب.

ومن خصائصها التي اختصت بها من بين النساء، إنه كان لا يرى لها دم حيض ولا نفسا، فلم تفتها بسبب ذلك صلاة، منذ أن فرضت ليلة المناجاة.

ومن خصائصها أنها هي زوجها ولديها أهل بيت النبي الطاهر، الذين اختصهم الله بالشرف الباهر، وقال في تخليد الثناء عليهم إكراماً وتوقيراً ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾^١

ومن خصائصها أن من اتصل بها بسبب أو نسب، فقد أدى بسبب لا ينقطع إلى سيد العجم والعرب، قال من أنزل عليه القرآن بلسان عربي، سيدنا محمد إمام كل رسول ونبي : (كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا سببي ونبيي...).

ومن خصائصها أن الله حرم ذريتها على النار ، فقد جاء في الأخبار، عن النبي المختار، (أن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار).

ومن خصائصها التي لا مثيل لها، أنها أشبه الناس بأبيها سمطاً وهدية، وكلاماً ومشياً.

ومن خصائصها أنها لا تجوع، ببركة دعاء أبيها المسموع، فحينما رأى الجوع بلغ منها مبلغاً عظيماً، قال تسليماً: (اللهم مسني الجوعة، وقاضي الحاجة، ورافع الوضيعة، لا تجعل فاطمة بنت محمد)، قالت رضي الله عنها ما جعت بعدها أبداً.

^١ وفي بعض التفاسير أن هذه الآية شاملة أيضاً للزوجات ، إذ نساؤه صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته

ومن خصائصها ما اختصها الله به وزوجها من فضل مبين وقدر مكين، حيث قال لها سيد المرسلين، زوجك سيد في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

ومن خصائصها إظهار فضلها لأهل الموقف عامة، حين ينادي المنادي أهلا الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة^١.

رضي الله عن فاطمة الزهراء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

^١ فتمر رضي الله تعالى عنها على الصراط كالبراق مع سبعين ألفَ جاريةٍ من الحور العين

الفصل الثالث عشر

في ختام سيرة سيدتنا فاطمة الزهراء العطرة

وفي رياض هذه السيرة العطرة، في رحاب مدرستها النيرة، نقتبس بعض الدروس، التي تطمئن بها القلوب وتهذب النفوس، نختار ثلاثة دروس سنية، تكون نبراساً للأمة المحمدية، فأنصتوا لبث هذه الدروس وانتهوا، فإنها تبث على قناة (وَمَا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانهُوا)

وأول هذه الدروس المستوحاة، من سيرة فاطمة بنت رسول الله، التأسي بصفاتها النبيلة ، وأخلاقها الجميلة، ومن أبرز ذلك : سلامه الجنان، وحفظ اللسان، فلا يجري لسانها بغير الحق، ولا ينطق إلا بالصدق، حفظت لسانها من الأدواء الذميمة، لا كذب ولا غيبة ولا نميمية، صادقة في قولها، صادقة في فعلها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها إخباراً عن صدقها وتنورها، ما رأيت أحداً أصدق من فاطمة غير أبيها.

كيف لا تكون كذلك وقد تلقت عن أبيها أفضل الأخلاق، ومحاسن الآداب: (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيَّكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْنَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ)

والدرس الثاني نهديه إلى الآباء والأمهات، لتفقد أحوال الأبناء والبنات، وتوجههم إلى الأعمال الصالحة، فمع ما كان عليه الإمام المرتضى، وفاطمة الرضا، من علم ويقين، وتمسك بالدين، وثبات عليه، ودعوة إليه. فقد كان حين يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول : الصلاة أهل البيت (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا)

فلتكن لنا في رسول الله أسوة حسنة في الحث على صالح الأعمال، وقدوة بأهل بيته في الطاعة والإمثال، فيها أنها الآباء والأمهات اتقوا الله في أولادكم، وفلنذات أكبادكم، مروهم بالعمل الصالح ليتعودوه، وينشأوا عليه ويحبوه، فإن المرء ينشأ على ما عوده أبوه، وبذلك يحيون حياة سعيدة لا ضياع ولا اكتئاب (ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ).

والدرس الثالث نهديه إلى النساء المؤمنات، القانتات الحافظات، فليكن على حذر، مما يحيط بهن من خطر، ليحذرن دعوة المارقين، من الأخلاق والدين، الذين يزينون للمرأة ترك الحجاب، والتمرد على الدين والآداب، وليس معن بآذان صاغية، وقلوب واعية، هذا السؤال الذي وجهه النبي إلى ابنته العالمة، السيدة فاطمة، حيث قال لها: ما خير للمرأة، فقالت كلمتها التي لا يزال الرواة يروونها: (ألا ترى الرجال ولا الرجال يرونها)، فسر منها بهذا الجواب المفيد المغني، وضمها إلى صدره وقال: (إنما فاطمة بضعة مني)، وقد رسمت بهذا للمرأة المؤمنة، خطة آمنة، حتى لا تكون مفتونة ولا فاتنة، فأمعنوا النظر في السؤال والجواب، واعملوا بذلك تظفروا بحسن الثواب، (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ).

وهنا وقف اليراع، عن محاولة مala يستطاع، فأنى له أن يحيط، بلأئ البحر المحيط، فمناقب الزهاء ودروس حياتها المفضلة، بحر عميق لا ساحل له، يمتد من بحر أبها سيدنا محمد، وشرف ومجد، وفي هذا القدر كفاية، لمن كتب الله له الهدایة.

ووهذا تم انتظام عقد اللول، من سيرة الزهاء فاطمة البطل، فما كان من صواب فمن الله أحمده وأشكره، وما كان من خطأ فمن نفسي أتوب إلى الله واستغفره، والإنسان يخطئ ويصيّب، والله يغفر ويثيب ، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

رضي الله عن فاطمة الزهاء وأرضها ، وصلى الله على سيدنا محمد أزكي صلاة وأنماها ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله .

الفصل الرابع عشر والآخر في الدعاء والتوصُّل

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يمكِن له كُفُواً أحد. اللهم لك الحمد كما يجب اللهم لك الحمد كما تحب. اللهم ما أنعمت فزد وما زدت فبارك ولكل الحمد على ما أنعمت وزدت وباركت.

اللهم صل على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون، اللهم صل على من هو إمام الأنبياء والمرسلين اللهم صل على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين¹.

اللهم صل على سيدنا محمد إمام كلنبي ورسول صلاة نبلغ بها السول وننال بها المأمول وفوق المأمول والحمد لله كما نقول وخيراً مما نقول.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد المختار وأله الأطهار وصحابه الأخيار ما تعاقب الليل والنهار صلاةً تقضى لنا بها الأوطار وترزقنا بها حسن الاختيار فإنك تخلق ما تشاء وتختار.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود واللواء المعقود أكرم والد وأعظم مولود وعلى أله وصحابه الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود صلاة وسلاماً نبلغ بهما غاية المقصود بفضلك وكرمك يا كريم يا ودود. يا حي يا قيوم، برحمتك استغث، اصلاح لنا شأننا كلّه، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين².

اللهم إننا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغفرانة من كل بروالفوز بالجنة والنجاة من النار، (ربنا فاغفر لنا ذنبينا وكفر عننا سيناتنا وتوفنا مع الأبرار).

اللهم يا دائمًا لم يزل يا حي يا قيوم اكفنا الهموم والغموم وبلغنا ما نروم وفوق ما نروم بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين، (ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين).

اللهم يا من يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء يا رب سيدنا محمد صلى الله عليه وآلله وسلم إقض عنا الدين واجعلنا لنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآلله وسلم قرة عين وارزقنا محبته ومحبة أهل بيته الطيبين الطاهرين واحشرنا في زمرةهم في خير ولطف يا رب العالمين.

¹ من صلواتها رضي الله تعالى عنها

² من وصاياته صلى الله عليه وآلله وسلم لها رضي الله تعالى عنها لترديدها

اللهم حاجاتنا كثيرة وأنت عالم بها وخير فأكرمنا بقضائهما ويسرها لنا فتيسير العسير عليك يسير (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قادر).

اللهم فارج الهم كاشف الغم مجتب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ارحمنا المسلمين والطف بنا المسلمين واكفنا وإياهم شر مصائب الدنيا والدين .

اللهم فرج على المقربين من المسلمين في كل مكان وارفع عنهم ما نزل بهم من حرب وكرب وامتهان ، اللهم عجل لهم بالفرج وارفع عنهم الضيق والحرج ، يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين (ربنا إغفر لنا ذنبنا و إسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

اللهم ذلل لنا الصعب ويسر لنا الأسباب وافتتح لنا من الخير كل باب واغفر لنا ولوالدينا وتب علينا إنك أنت التواب (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) . اللهم بارك في أولادنا واحفظهم واهدهم وأصلحهم وأحهم حياة طيبة ووفقاً وفقهم لطاعتك وارزقنا بِرَّهم واجعلنا للمتقين إماماً.

اللهم ومن جمعنا في هذا المجلس المبارك على ذكرك وتلاوة كتابك والصلوة والسلام على نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنسألك اللهم أن تصلح له الحال في المستقبل والحال وأن تبلغه الآمال وفوق الآمال وأن تبارك له في الأهل والمال والعيال .

اللهم وما نواه من نيات صالحة بعقد هذا المجلس المبارك فنسألك اللهم أن تبلغه ما نواه من أمور آخرته ودنياه والحاضرين جميعاً، أعط كل منا ومهما سُؤله و مأموله على ما تحب وترضى ياذا الجلال والإكرام .

اللهم يا فالق الحب والنوى أعط كلاً منا من الخير ما نوى. اللهم أنت العالم بسرائرنا فأصلحها وأنت العالم بذنبينا فاغفرها وأنت العالم بعيوبنا فاسترها وأنت العالم بحاجاتنا فاقضها ويسرها برحمتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين (سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).